مُلحق

الأدب هو قمة الثقافة والأخلاق، والمعرفة بصورةٍ عامة، والوعي بصورةٍ إجمالية وعندما نقول أن الأدب هو قمة الثقافة، فإننا نسمح لأنفسنا بأن نكرر هذه المقولة خلف آلاف العلماء في الفلسفة والرياضيات والفيزياء والتاريخ والجغرافية والحقوق وغيرها أجمعوا في أفكارهم وآرائهم وأحاديثهم على أن الأدب كان منذ البدايات الأولى، ومنذ أن نَقش الإنسان على الحجارة والصخور في الكهوف الأحرف الأولى، وكانت هناك تعابير اختلجت الروح ـ جوهر الإنسانية.

بالطبع أن كل عالم، أو مفكر، أو باحث يحب اختصاصه، ويسجد عند محرابه، ولكن الجميع، وبحضور كافة الاختصاصات، الموضوع الذي يجمع الحضور، ويُوحِّد الحديث الودي فيما بينهم، هو الأدب الغذاء الروحي لكافة بني البشر، وكم من لقاء لمختلف الاختصاصات يتحول تدريجياً إلى ندوةٍ أدبيةٍ تناقش فيها ملاحم الشعوب القديمة، ونذكر أهم وأقدم المخطوطات الأدبية التي دونت لتطور الحضارة العالمية، ومروراً بسقراط، وأفلاطون، وكونفوشيوس، وفاليس وما كتبه عن نشوء الكون، وفيثاغورس، وغيرهم من العلماء في كافة الاختصاصات إلا وتوحدوا حول موضوع أساسي وجوهري، وهو الأدب نثراً وشعراً، وكم من لقاء عام لمختلف الأصدقاء مع اختلاف اختصاصاتهم يتحول بعد فترةٍ وجيزةٍ لندوةٍ أدبيةٍ تناقش الأعمال الأدبية الخالدة، وتذكر المخطوطات الأولى الأحرف الأساسية للحضارة العالمية، وتذكر الكتب الدينية الأولى على اختلاف أنواع الديانات والمذاهب التي رافقت الحضارات القديمة، وتطورت معها تاريخياً، ويبين الباحثون في الكثير من المباحث التاريخية عندما يعودون ويذكرون تلك الحروب والغزوات للقبائل يقول بعض الباحثين أن البشر الذين كانوا يموتون، فإن عدد القتلى حسب الإحصائيات التقديرية للذين كانوا يموتون في تلك الحروب الدينية والقائمة على مختلف المعتقدات كانوا أكثر من الذين يموتون موتاً طبيعياً.

obeikandl.com

مُلحق

كنت قد ذكرت في مُقدمة هذا الكتاب أن بعض الفصول منهُ بل معظمه قد دخل في صلب الأُطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة قسم الأدب الروسي، وكان موضوع الأُطروحة التي حدد الدفاع عنها «الواقعية في الأدبين الروسي ـ السوفيتي والعربي» وانعقد المجلس العلمي، وبوجود المشرف العلمي البروفيسور أفتشارينكو، والبروفيسور ألكسي ميتشينكو رئيس المجلس العلمي في كلية الآداب السوفييتية، وكان الحضور بالإضافة إلى أعضاء المجلس العلمي الذين يبلغ عددهم 22عضواً بين دكتور وبروفيسور، وكان على المدرج المخصص للدفاع عن الأطروحات العلمية، وهي ذات مواصفات خاصة، وفيها قسم للألبسة الرَّسمية الخاصة بالمراسم العلمية، وبعد أن يرتدوا هذه الألبسة الرَّسمية يجلسون في مُقدمة المدرج، ثم سمحوا للضيوف المدعوين ومن بينهم كان المدققين والمعقبين ومندوبين لبعض الجامعات من لينينغراد، وأوديسا و فارونيج كان عليهم أن يلقوا مداخلات بخصوص الأطروحة، إذ أرسلت نسخاً من ملخصها إلى أكثر من خمسة أشخاص للاطلاع والمشاركة في النقاش، ثم سمح رئيس المجلس العلمي البروفيسور ميتشينكو للضيوف بالدخول، وكنت قد أخذت مكاني كمدافع عن الأطروحة والمرشح لنيل شهادة الدكتوراه مُقابل أعضاء المجلس العلمي، وإلى جانبي كان المدققون والمُعقّبون.

كان أول من دخل إلى القاعة من بين الضيوف صديقي الشاعر الداغستاني المعروف رسول حمزاتوف، ومعه مجموعة من الكتاب والشعراء السوفييت، ومعظمهم من جمهورية داغستان السوفيتية، وعندما شاهده البروفيسور ميتشينكو هبَّ واقفاً ودعاه للجلوس على المدرج في الصف الرابع بعد المجلس العلمي، ودخل أصدقاء سوفييت وعرب سوريين من معارفي، ومن بينهم صديقي أبو محمد متعب العبدالله، الذي كان ملحقاً عسكرياً لسورية في موسكو، وكان ذلك عام1979، وبعد الاستقرار والهدوء، وقف البروفيسور ميتشينكو، وقدمني للدفاع معرفاً باسمي، ولمحة عن دراستي خلال الجامعة، ونيلي في عام 1975 شهادة الماجستير، والدفاع آنذاك عن أطروحة بعنوان «غوركي والأدب العربي المعاصر»، ثم رشحته إدارة الكلية لمتابعة

obeikandl.com

الدراسة لتحصيل شهادة الدكتوراه، وكتب الباحث الأطروحة بعنوان «الواقعية في الأدبين السوفيتي والعربي»، وبإشراف البروفيسور أفتشارينكو، وحسب الأصول وزع ملخص الأطروحة باللغة الروسية، على الجامعات والمعاهد الأدبية للاطلاع والتدقيق إذا كانت هُناك أية أطروحة أُخرى كتبت تحت هذا العنوان إذ هذا لا يجوز حسب الأعراف العلمية، وأكَّدَ على وجود المدققين الرَّسميين المحددين من جامعة لينينغراد وأوديسا و فاردينغ، ثم قدمني لإلقاء كلمتي عن موضوع الأطروحة والقضايا العلمية المطروحة فيها.

كنتُ قد جهزتُ نفسي حتى أُلقي قِسماً من كلمتي بصيغته المكتوبة، والقسم الثاني ارتجالي، وبالطبع باللغة الروسية وبعد الانهاء دعاني رئيس المجلس للجلوس في مكاني، وقدَّمَ المدقق والمعقب العلمي جامعة لينيغراد، وكذلك من جامعة فاروينج وأوديسا، وتمت قراءة موافقة من المكتبة المركزية والأرشيف بعدم وجود أي شبه مع أطروحة ثانية، ثم تكلَّمَ المشرف العلمي أفتشارينكو عن نشاطي العلمي، وأنني نشرت دراستين عن موضوع الأطروحة في مجلة جامعة موسكو، وأنني أقدم برامج أدبية في إذاعة موسكو، كما ترجمت عدة كتب من اللغة الروسية إلى العربية، وترجمت رواية الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني «عائد إلى حيفا» إلى اللغة الروسية عام 1974 عندما كنت في الصف الرابع في الجامعة، وهذه ظاهرة فريدة من نوعها.

وهنا طَلَبَ الكلام أحد أعضاء المجلس العلمي، وهنا امتعض رئيس المجلس أ.ميتشينكو من طلبه، وأعطاه الكلام فقال: "يقول الباحث المرشح لنيل شهادة الدكتوراه الزميل ماجد علاء الدين في معرض الكلام وهو يناقش مسرحيات سعد الله ونوس، ويتكلم عن الصراع العربي الإسرائيلي أن هذا الصراع بين الدول العربية هو صراع تناحري غير قابل للمصالحة، فلماذا يعتقد الباحث هكذا؟" وجلس في مكانه.

ثم أعطاني رئيس المجلس حقَّ الإجابة، فشكرته على السؤال، علماً أنني عرفت أنه يهودي من خلال انزعاج ميتشينكو الذي يعرف مثل هذه التحرشات ضد الطلبة العرب، وقلت : في صلب الأطروحة قد تمَّ الكلام وبالتفصيل عن مسرحية الكاتب المسرحي سعد الله ونوس «حفلة سمر من أجل 5حزيران»، ولقد شرحت مطولاً،

وقدمت نبذة تاريخية، كيف قامت إسرائيل وبدعم من حكومة بريطانيا، ووزير خارجيتها بلفور بدعم إسرائيل حتى تطرد السكان الحقيقين العرب، وكانوا يشكلون النسبة العُظمى من السُّكان، وأسكنوا مكانهم اليهود القادمين من مختلف دول العالم، وهنا أُريد أن أؤكد على موضوع هام، هو أنَّهُ من الخطأ أن يُفهم هذا الصِّراع قائم على الخلاف بين دينين أو قوتين، فنحن منذ القِدَم لم نتعامل مع اليهود في سورية، أو في باقي البلدان العربية هذا التعامل العدائي، وفي دمشق وحلب توجد أحياء يهودية بأكملها، ولم يحصل أي صراع أو خلاف تناحري مباشر، ولكن المسألة هي أعمق من موضوع يهود وعرب، ولو كان الأمر كذلك لما حصلت الحروب المتتابعة من جانب اسرائيل التي تُمارس سياسة توسعية ضد حركة التحرر الوطني العربي، لأن إسرائيل أصبحت تمثل قاعدة لإفريقيا وحلفائها في نقطة الشرق الأوسط، كما بين سعد الله ونوس، وطالما أنَّ الصِّراع بعد احتلال اسرائيل أراضي عربية من فلسطين (الضفة الغربية)، كما احتلت من صحراء سيناء في مصر منطقة واسعة، واحتلت مرتفعات الجولان ومنابع المياه في المنطقة، وحرمت السُّكان العرب من استخدام مياههم، وممارسة زراعتهم، واستخدمت سياسة الطَّرد للعرب، وازداد عدد اللاجئين الفلسطينيين أضعافاً، وهنا أصبح النزاع في منطقة الشرق الأوسط نزاعاً بين إسرائيل كقاعدة للإمبريالية من جهة والدول العربية التي تمثل حركة التحرر الوطني العربية، وهنا لا يمكن ولا بأي شكل تسمية هذا الصراع إلا صراعاً تناحرياً، ويحصل الشَّعب العربي على حقِّهِ وفي الأخير لا أُريد أن أُطيل عليكم وشكراً.. صفق ميتشينكو بشكلٍ عفويٍّ، وصفَّقَ كُل من في القاعة بينما وقف ميتشينكو وسأل: هل توجد أسئلة أخرى؟...

فلم يجب أحد، هنا طلب من الحضور الخروج حتى يقوم المجلس العلمي بالتصويت وعدنا بعد عشرة دقائق، وكانت 21 صوتاً إلى صالحي وصوت واحد ممتنع عن التصويت، فصفَّقَ الجَّميع، ووقف رسول حمزاتوف وطلب الكلام، فرحَّبَ رئيس المجلس العلمي، فقال حمزاتوف: «إنني أعرف الباحث الدكتور ماجد علاء الدين منذ سبع سنوات، وبيننا مع الشَّعب السوري صداقة ذات جذورٍ عميقة، وهنا يشرفني أن أحضر هذا الدفاع المُشرِّف، وأن أبارك للصديق وأدعوه أن يكون عضو شرف في

اتحاد كُتَّاب جمهورية داغستان بلدي».. فعمَّ التصفيق مرةً أُخرى، وأقبل الجميع عليَّ بالتهاني، والورود، والقُبلات من الأصدقاء والمحبين.

أستميح القراء عذراً، لقد تكلمت الحقيقة وبصورةٍ متواضعةٍ، وأنا أكره المديح، و«البروزة».

obeikandl.com